كل للاحاطة واجمعون للاجتماع افادا معا انهم سجدوا عن اخرهم ما بقي منهم
ملك الا سجد وانهم سجدوا معا في وقت واحد غير متفرقين في اوقات اشتهى
فان قيل كيف ساغ السجود لغير الله تعالى اجيب بان الممنوع هو السجود لغير الله
على وجه العبادة فاما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا ان
يكون فيه مفسدة فينهى الله تعالى عنه والاولى في الجواب انه سجود تحية
بالانحنا كما قاله الجلال المحلي **الا ابليس استكبر** اي تكبر وتعظم
عن السجود فان قيل كيف استثنى من الملئكة وهو من الجن اجيب بانه
قد امر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى فسجد الملئكة ثم
استثنى كما تستثنى للواحد منهم استثناء متصلا وقال الجلال
المحلي هو ابو الجن وكان من الملئكة وعلى هذا فلا سوال **وكان** اي وصار
من الكافرين باستكباره عن امر الله تعالى او كان من الكافرين في الازمنة
الماضية في علم الله تعالى تنبيه المقصود من ذكر هذه القصة المنع
من ذكر الحسد والكبر لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد
والكبر والكفار انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد
والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا عن
هاتين الخصلتين المذمومتين **قال** الله تعالى **يا ابليس** سماه
بهذا الاسم لكونه من الابلاس وهو انقطاع الرجا اشارة الى تحتم
العقوبة له **ما منعك ان تسجد** وبين ما يوجب طاعته ولو امر بتعظيم
ما لا يعقل معنى اباه ما لا يعقل عمن كان عند السجود له عاقلا
كامل العقل **لما خلقت بيدي** اي توليت خلقه من غير توسط سبب
كاب وام والتثنية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة وقوله تعالى
استكبرت استفهام توبيخ اي تعظمت بنفسك الان عن السجود له
ام كنت من العالين اي من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك
منهم فاجاب ابليس بقوله **قال انا خير منه** اي لو كنت مساويا له في
الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه ثم بين كونه خيرا
منه بقوله **خلقتني من نار وخلقته من طين** والنار خير من الطين بدليل ان
الاجرام الفلكية افضل من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر
من الفلك والارض ابعد عنه فوجب كون النار افضل من الارض وايضا
فالنار خليفة الشمس والقمر في اضاءة العالم عند غيبتهما والشمس
والقمر اشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة افضل من الارض
وايضا فالكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة او البرودة والحرارة
افضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت
وايضا فالنار لطيفة والارض كثيفة واللطافة افضل من الكثافة

الشرف ٣

وايضا

حقيقة

وايضا فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وايضا فالنار تشبه
الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح افضل من الجسد فالنار افضل
من الارض والدليل على ان الارض افضل من النار انها امينة مصلحة فاذا اودعتها
حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائنة مفسدة كلما سلمته اليها وايضا
فالنار بمنزلة الخادم لما في الارض ان احتيج اليها استدعيت استدعاء
الخادم وان استغني عنها طردت وايضا فالارض مستولية على النار فانها
تطفي النار وايضا فان استدلال ابليس بكون اصله خيرا من اصله
استدلال فاسد لان اصل الرماد النار واصل البساتين المزهرة
والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة ان الاشجار المثمرة خير
من الرماد وايضا هب ان اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الا ان
هذا يمكن ان يعارض بجهة اخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب
عاري عن كل الفضايل فان نسبه يوجب رجحانه الا ان الذي لا يكون نسيبا
قد يكون كثير العلم والزهد فيكون افضل من النسيب بدرجات لا حد
لها فكذبت مقدمة ابليس فان قيل هب ان ابليس اخطا في القياس
لكن كيف لزمه الكفر في تلك المخالفة وتقرير السوال من وجوه الاول
ان قوله تعالى اسجدوا امر وهو يحتمل الوجوب والندب فكيف يلزم العصيان
فضلا عن الكفر الثاني هب انه للوجوب وقلتم ان ابليس ليس من الملئكة
فامر الملائكة بالسجود لادم لا يدخل فيه ابليس الثالث هب انه تناوله
الا ان تخصيص العام بالقياس جايز فجاز ان يخصص نفسه من عموم ذلك
الامر بالقياس الرابع انه لم يسجد مع علمه بانه كان مامورا به الا ان هذا
القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر اجيب بان صيغة الامر وان
لم تدل على الوجوب يجوز ان ينضم اليها من القراين ما يدل عليه وههنا
حصلت تلك القراين وهي قوله استكبرت ام كنت من العالين فعلم بذلك ان
الامر للوجوب وانه مخاطب بالسجود فلما اتى بقياسه الفاسد دل
ذلك على انه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح في امر الله تعالى وتكليفه
وذلك يوجب الكفر ولما ذكر ابليس هذا القياس الفاسد **قال** الله تعالى
فاخرج اي بسبب تكبرك ونسبتك الحكيم الذي لا اعتراض عليه الى الجور
منها اي من الجنة وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته
فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم
بعد ما كان نورانيا وقيل من السموات **فانك رجيم** اي مطرود لان من طرد
رمي بالحجارة فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد
فان قيل الطرد هو اللعن فيكون قوله تعالى **وان عليك لعنتي** مكررا اجيب
بحمل الطرد على ما تقدم وتحمل اللعنة على الطرد من رحمة الله تعالى وايضا

Copyright King Saud University